الخرائط التربوية لتعميم العرض التربوي بالتعليم الأولي

ذة. ليلى المرجاني

أستاذة بمركز التوجيه والتخطيط التربوي

أخيرا انتبهت الوزارة إلى أنه لا تعميم للتعليم الاولي أو بالأحرى لا تعميم لعرض تربوي مناسب وناجع من أجل تحقيق ذلك دون المرور بآليات التخطيط التربوي وأولها الخرائط التربوية وتلك المدرسية. فأصدرت مراسلة وزارية يوم 13 يناير 2022 تحت رقم 0024/22 بشأن إعداد الخرائط الجهوية لتعميم العرض التربوي للتعليم الأولي برسم الموسمين 2023/2022 و 2024/2023. خطوة محمودة فعلا ولو انها تأخرت بعد خمس سنوات من بداية مشروع تعميم التعليم الأولي وتطويره. ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه لدى كل مخطط تربوي وهو هل هناك برنام إعلاميائي رسمي يؤطر عملية إعداد الخرائط التربوية الخاصة بالتعليم الأولي. وإذا وجد هل يستمد معطياته مباشرة من منظومة الإحصاء المدرسي بمختلف برانمه المعتمدة ويحترم فعلا دقة ووثوقية وجاهزية معطيات التشخيص من جهة، وهل يحترم معايير ومراحل التخطيط السنوي والمتعدد السنوات؟ وهل يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات العرض والطلب على التعليم الاولي بمختلف أنواعه وتشابك وتباين متدخليه من جهة أخرى.... ؟ أم هي عملية يلقى بها إلى المديريات بعد طول تخبط في تدبير المشروع ليترك الأمر لأطر التخطيط أو لأطر أخرى كل حسب اجتهاداته في المجال التدبيري أو المعلوماتي والرقمي لتدبير العملية. فالمذكرة لم تحدد من المسؤول عن تنزيل مضامينها المتشابكة والمتشعبة.

يحق لنا ان نتساءل أيضا عمن سيقوم بإعداد وتمحيص الحاجيات المستقبلية وتوطينها ميدانيا حسب معايير لم يتم تحديدها بعد حسب علمي... هل مصالح التخطيط أم مصالح التعليم الاولي المحدثة مؤخرا؟.... إذا قامت بها مصالح التخطيط وذلك يدخل فعلا في مهامها فماذا سيتبقى من مهام حقيقية للمصالح المحدثة مؤخرا؟ ..... وإذا تم العكس هل لهذه المصالح الكفايات لذلك خاصة إذا لم يكن المسؤول عنها ملما بسيرورة مراحل التخطيط المتعدد السنوات ومعاييره وخياراته المنهجية وكيفية المفاضلة بين السيناريوهات لتحديد حاجيات مستقبلية دقيقة من الأقسام والحجرات والمربيات والمربين وتوطينها بشكل يناسب خصوصيات الطلب التربوي لدى كافة الأسر وقدرتها الاقتصادية وخصائصها الاجتماعية...؟

خطوة محمودة فعلا أن تدعو الوزارة إلى إعداد خرائط تربوية جهوية للتعليم الأولي وحتما ذلك يمر بخرائط إقليمية. ولكن بأي أدوات وآليات عملية لتوحيد معايير تحديد هذه الحاجيات وطنيا وضمان

إمكانية تتبعها وتجميعها وتأطيرها على كافة المستويات..... وأيضا التحكم في معيرتها حسب الأهداف وحسب الإمكانيات بشكل رقمي مرن وسلس يضمن نجاعة الأداء؟ وتجدر الإشارة أيضا إلى أن المذكرة التي تدعو لذلك أقحمت إعداد توقعات توسيع التعليم الخصوصي في الخرائط التربوية وهي عملية صعبة لأنها أولا وأخيرا ترتبط بمدى الإقبال على الاستثمار بالتعليم الأولي الخصوصي في ظل توسيع العرض الأولي العمومي، هذا بالإضافة إلى عدم وجود تشخيص دقيق للتوزيع المجالي للنوع الغير مهيكل لهذا التعليم الأولي.

خلاصة الأمر اعتماد خرائط تربوية خاصة بالتعليم الأولي عملية ذات أهمية كبرى ونثمن توجه الوزارة إليها رغم تأخرها في ذلك، ولكن العديد من العمليات التي تنص عليها المذكرة المؤطرة والموجهة يلفها الغموض من حيث التطبيق والإعداد والتنسيق والمعيرة. إذ تحتاج على الأقل إلى دليل عملي وتقني يحدد المعايير والحيثيات التي تبنى عليه التوقعات وتؤطر عملية المفاضلة بين السيناريوهات. كما يتطلب الأمر القيام بذلك على مراحل لضمان مقاربة مخرجاتها للواقع الميداني والموازنة بين العرض والطلب وكذا التنسيق بين مختلف الشركاء والمتدخلين. خصوصا أن المذكرة فصلت بين إعداد الخرائط في المجال الحضري وشبه الحضري وإعداد التوقعات بالمجال القروي. بل وقسمت هذه المجالات بين المتدخلين وهو أمر يمكن أن نستشف منه إكراه صعوبة تنسيق عمليات توطين العرض التربوي بين مختلف المتدخلين، وهذا أمر يؤكده المتدخلون في هذا المشروع بالمديريات الإقليمية.

وأخيرا يجب الإشارة إلى وجود تجارب ومبادرات بل وإبداعات رقمية قام ويقوم بها بعض أطر التخطيط. وحبذا لو وجدت آذانا صاغية لدى المسئولين عن التخطيط التربوي بالوزارة عوض البحث عن الحلول من خارج المنظومة ولدى خبراء من خارج الوزارة أو خبراء أجانب لم يخبروا في الواقع منظومتنا التربوية بكافة تعقيداتها وإكراهاتها وتحدياتها إلا النزر القليل. لو أنصتت الوزارة للعديد من أطرها العاملين بالميدان لتم تطوير أو تجديد العديد من الحلول الرقمية بميزانيات تقل بكثير عما يتم صرفه حاليا بشأنها... هم يحتاجون فقط للتأطير الاستراتيجي وتوضيح الرؤية والأهداف ولفتح مجال الإبداع لهم وتثمين مبادراتهم والعمل على تطويرها وأجرأتها... . وما برنام CartePrésco الذي بلوره ثلاثة من خيرة أطر التخطيط ورأى النور بمركز التوجيه والتخطيط التربوي منذ ثلاث سنوات في إطار بحوث التخرج لفوج 2017- 2019إلا مثالا على ذلك. غير أن مثل هذه المبادرات من أهل الميدان لا تلقى عادة للأسف اهتماما من مسئولي الوزارة وتبقى مقصورة على أصحابها ومن له فرصة الاستفادة من تجاربهم. وهو الأمر الذي عايشناه عن قرب بعدما قام مركز التوجيه والتخطيط التربوي بمراسلة الوزارة الوصية

في الحكومة السابقة بشأن هذا البرنام مرتين أو أكثر وتم تقديم عرض لبعض مسئوليه الذين عبروا عن تثمينهم واعترافهم بتميز هذه الآلية واستجابتها لإكراهات وتحديات التخطيط للتعليم الأولي، ولكن الأمر توقف عندهذه المرحلة ولم يلق اهتماما أكثر أو متابعة جدية.

كان يمكن تفادي هذه المراوحة بين فترات تشخيص متقطعة ومتذبذبة منذ سنوات وتدبير متباين من سنة أخرى لمشروع تعميم التعليم الأولي وبين تعدد الادوات الرقمية والبرانم الإعلاميائية من "رائد " و"مسار" و "ESISE و Excel وPSP التي لا تغطي جميع خصوصيات هذا السلك. ولقطعنا أشواطا مهمة في تجريب هذا البرنام وتطويره وتعميمه لضمان نجاعة أفضل للتخطيط المتعدد السنوات بإعداد خريطة سنوية للتعليم الأولي بمختلف مراحلها التشخيصية والتدبيرية كمشروع متعدد المتدخلين والشركاء...وأخرى استشرافية متكاملة تقارب الحاجيات المستقبلية لتعميمه بكل مديرية إقليمية.

كيفما كان الحال فمركز التوجيه والتخطيط التربوي تبنى هذه السنة مشروعا بحثيا يقوم به فوج متدربي التخطيط التربوي بالمركز ويغطي ما يناهز 20 مديرية إقليمية. نروم منه أولا استطلاع آليات التخطيط المعتمدة ميدانيا وفعليا- إذا تواجدت- لإعداد التوقعات التربوية وتحديد الحاجيات المستقبلية من العرض التربوي لتعميم التعليم الأولي، وثانيا تدريب المستشارين المتدربين على برنام CartePrésco وتأطيرهم لإعداد الخرائط التربوية الخاصة بالتعليم الأولي السنوية منها والمتعددة السنوات بهذه المديريات، وبالتالي تجريبه على نطاق واسع و الدفع نحو تجويده و تطويره إذا اقتضى الأمر، علما أن القائمين على تطويره حاليا قد جربوه على ثلاث مديريات إقليمية وأعطى نتائج مرضية وحقق الأهداف المسطرة له لتدبير مشروع تعميم التعليم الأولي وتطويره.

خلاصة القول يجب أن تتقبل وزارتنا أن العاملين بالميدان وخصوصا العديد من أطر التخطيط التربوي لهم من القدرات العلمية والتقنية والمعرفية والمكتسبات المهنية ما يخولهم أن يكونوا مصدرا لتحسين الحكامة التدبيرية والرقمية وتجويد وتطوير آليات التشخيص والتخطيط التربوي والمدرسي. قيكفي من تهميش وتقزيم أدوارهم في الجانب التنفيذي والتقني فقط دون تحفيز وإنصاف مهني لائق بقدراتهم وثقل مهامهم ويكفينا من مركزة أدوار التخطيط التربوي الفعلي وتحجيم أبعاده الحقيقية جهويا وإقليميا.

ليـــلى المرجانـــــي

17 يناير 2022 - الرباط -